(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

**القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم:٤٢-٤٦]**

**الشيخ:** إلى هنا، لا إله إلَّا الله، لا إله إلا الله

يقول تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا} فهذا يتضمن الخبر بأن الله لا يغفل عن الظالمين، وما يكون من إمهال هو استدراج، وقد يحسب الإنسان أو يحسب الناس أن ذلك غفلة من الله عن الظالمين (إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} يؤخِّرهم إلى الأجل المقدَّر كقوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} [الحج:٤٧]، {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} [العنكبوت:٥٣]، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} الله تعالى شهيدٌ على كل شيء، شهيد على ما يعمل العباد، شهيد على ما يعمل الظالمون، والله تعالى لا يغفل، وذلك يتضمن كمال علمه؛ فإن الغفلة نقصٌ في العلم، لا يغفل ولا ينسى {لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}، {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} وهذا وصف لبعض مشاهد القيامة وأحوال الظالمين في ذلك اليوم، يخرجون من القبور مسرعين {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر:٨]، فالأبصار شاخصة والقلوب في ذهول، يهيمون على وجوههم، {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} هذه حال الأشقياء، إذا نزل بهم العذاب تمنَّوا وطلبوا الرجعة طلبوا العودة، وهذا المعنى يذكره الله كثيرًا، فهم يطلبون العودة عند الموت، ويطلبون العودة بعد البعث، ويطلبون العودة بعد دخول النار {فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ} فالله يذكِّرهم أنه قد أقام الحجَّة عليهم وبلَّغتهم الرسل بلَّغتهم رسل الله، بلَّغتهم سوء مصير الظالمين المقيمين على ظلمهم {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ} يعني فلم تعتبروا، أممٌ يخلف بعضها بعضًا؛ ولهذا الرسل يذكِّرون أممهم {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} [الأعراف:٦٩]، {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ} [الأعراف:٧٤]، {وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} يعني هذا يدلُّ على أنهم يمكرون مكرًا كُبَّارًا {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} يعني من فظاعته ومن قبحه ومن كبره، كقوله تعالى في مقالة المفترين على الله بأن له ولد: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم:٩٠-٩٢].

نعم يا مُحَمَّد.

**(تفسيرُ السعديّ)**

**القارئ: بسم الله الرَّحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمَّد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي**

**الشيخ:** وهذه الآية فيها قراءتان {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ} هذا هو المعنى الذي أنا استشهدت له بالآية، وفي القراءة الأخرى {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ} "وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ" "إن" بمعنى يعني "إن" نافية، وعلى الثاني "إن" هي المخففة من الثقيلة "وما" {كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ}، فهو من وجه عظيمٌ وفظيعٌ وشنيع ومن وجهٍ هو في جانب مكر الله وقدرته وشدة بطشه ليس بشيء

**القارئ: قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى–:**

**ثم قال تعالى: {وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ..} الآيات.**

**هذا وعيد شديد للظالمين**

**الشيخ:** هذا؟

**القارئ: هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: {وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} حيث أمهلهم وأدرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلَّبون في البلاد آمنين مطمئنِّين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن**

**الشيخ:** فلا

**القارئ: فليس**

**الشيخ:** فليس في هذا ما يدل

**القارئ: فليس في هذا ما يدلُّ على حسن حالهم فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثمًا، حتى إذا أخذه لم يفلته {وَكَذَلِكَ..}**

**الشيخ:** كقوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} [آل عمران:١٧٨]، إنَّ ما يحصل من يعني تمادي الكفار في ضلالهم وعتوّهم وطغيانهم وظلمهم يُحدث في نفوس الجاهلين بشأن الله أن هذا يعني إما غفلة من الله أو يدلُّ على رضاه عنهم، فيخالج النفوس نفوس من لا بصيرة عنده يخالجهم أنواع الظنون، والله يحذر من هذا الحس..، حتى إن الكفار قد يحسبون أن ما يحصل لهم من الإملاء أن هذا خيرٌ لهم، فالحسبان يحصل في نفوس الكفار أنفسهم ويحصل في نفوس غيرهم من

المسلمين؛ ولهذا يقول الله: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آل عمران:١٩٦-١٩٧]، وهنا يقول: {وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ} هذا بمعنى {مَتَاعٌ قَلِيلٌ}

**القارئ: فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثمًا، حتى إذا أخذه لم يفلته {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢] والظلم –ها هنا– يشمل الظلم فيما بين العبد وربه وظلمه لعباد الله. {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ} أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل.**

**{مُهْطِعِينَ} أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} أي: رافعيها قد غُلَّتْ أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رؤوسهم، {لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل همٍ وغمٍ وحزن وقلق**

**الشيخ:** لكنها؟

**القارئ: لكنها مملوءة**

**الشيخ:** إي نعم

**القارئ: من كل همٍ وغمٍ وحزن وقلق.**

**قال الله تعالى: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ..} الآيات.**

**يقول تعالى لنبيه مُحَمَّد –ﷺ–: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ} أي: صف لهم صفة تلك الحال وحذِّرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، {فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} بالكفر والتكذيب وأنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا سائلين للرجعة في غير وقتها، {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} أي: ردَّنا إلى الدنيا فإنَّا قد أبصرنا، {نُجِبْ دَعْوَتَكَ} والله يدعو إلى دار السلام {وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ} وهذا كله لأجل التخلُّص من العذاب وإلَّا فهم كذبة في هذا الوعد {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام:٢٨]**

**ولهذا يُوبَّخون ويُقال لهم: {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فها قد تبين حَنَثَكُم في إقسامكم**

**الشيخ:** حِنثَهُم

**القارئ:** حِنثُكم في إقسامكم، وكذبكم فيما تدعون، {وَ} ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البيّنات، بل {سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ} من أنواع العقوبات؟ وكيف أحلَّ الله بهم العقوبات، حين كذَّبوا بالآيات البيّنات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شكٍّ في القلب إلا أزالته، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم ودمتم على باطلكم حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل.

{وَقَدْ مَكَرُوا} أي: المكذِّبون للرسل {مَكْرَهُمْ} الذي وصلت إرادتهم وقدر لهم عليه، {وَعِنْدَ اللَّهِ..}

**الشيخ:** أيش؟

**القارئ:** الذي وصلت إرادتهم وقد

**الشيخ:** وصلت؟

**القارئ:** الذي وصلت إراداتهم

**الشيخ:** وصلت إليه قُل إليه، وصلت إليه إراداتهم

**القارئ:** الذي وصلت إراداتهم وقدر لهم عليه

**الشيخ:** وقُ..، ها؟

**طالب:** وقُدُرهم

**الشيخ:** وقُدرتهم عليه، نعم، وقدرتهم عليه. نعم قَدر

**القارئ:** {وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ} أي: هو محيط به علمًا وقدرة فإنه عاد مكرهم عليهم {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر:٤٣]

{وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} أي: ولقد كان مكر الكفار المكذِّبين

**الشيخ:** أيش يقول؟ أي؟

**القارئ:** أي: ولقد كان مكر الكفار المكذِّبين للرسل بالحق

**الشيخ:** نعم

**القارئ:** وبمن جاء به –من عظمه– لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: {مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} [نوح:٢٢] لا يقادر قدره ولكن الله ردَّ كيدهم في نحورهم.

**ويدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلًا أو يبطل حقًّا، والقصد أن مكرهم لم يغنِ عنهم شيئًا، ولم يضرُّوا الله شيئًا وإنما ضرُّوا أنفسهم.**

**قال الله تعالى: {فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ..}**

**الشيخ:** إلى آخر الآيات

**القارئ:** أحسن الله إليك

**الشيخ:** نعم